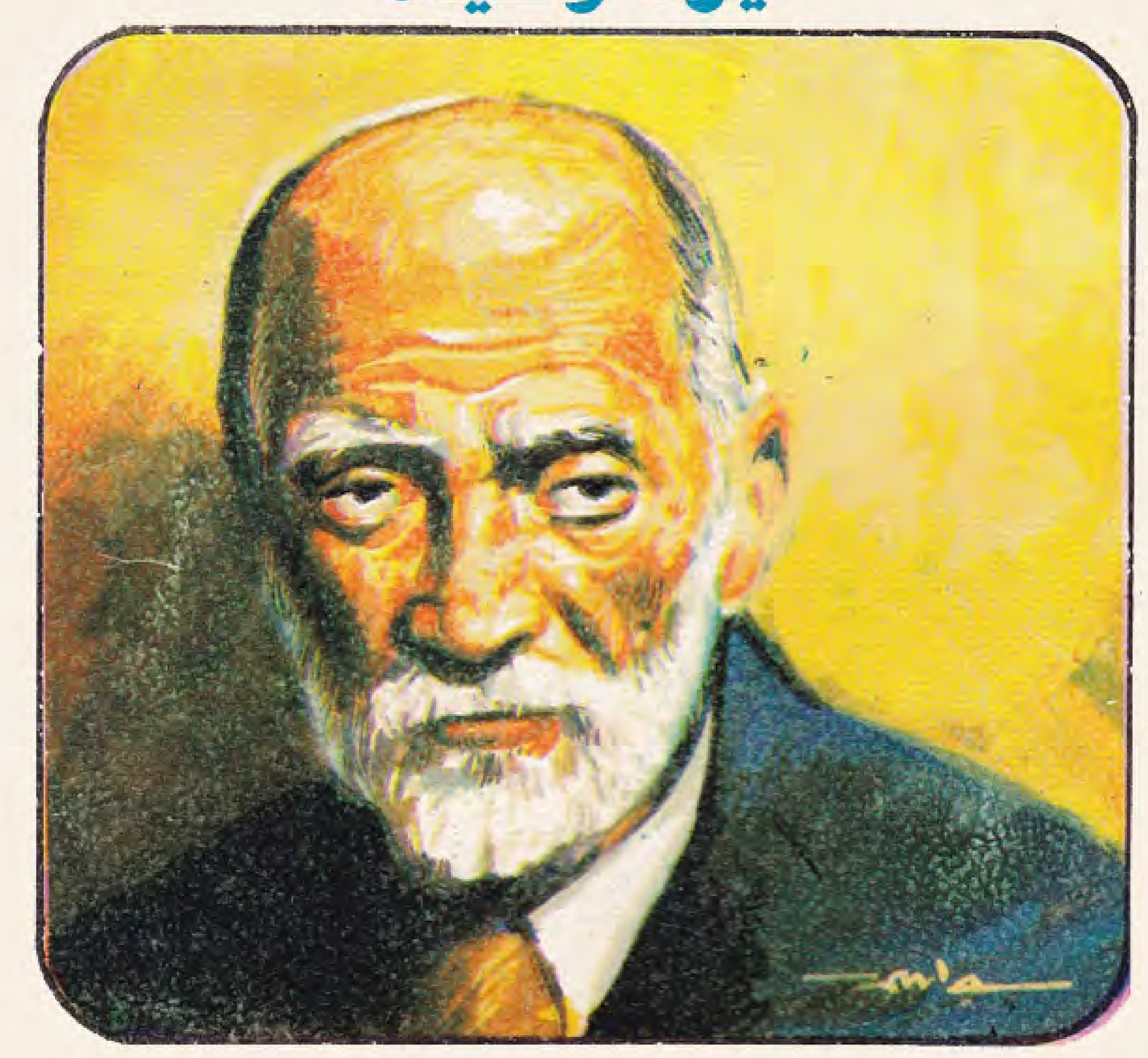




جميل صدقي الزهاوي

سيرة وحياة



اعداد : كمال لطيف سالم



دار ثقافة الأطفال
قسم النشر
سلسلة المشاهير





المسح الضوئي : د.نزار حبيب عباس
الأعداد الفني : أحمد هاشم الزبيدي

رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٥٨) لسنة ١٩٨٩

دار الحرية للطباعة

اسم الكتاب : جميل صدقي الزهاوي .. سيرة وحياة
اعداد : كمال لطيف سالم
الطبعة العربية : الأولى
سنة النشر : ١٩٨٩
الناشر : وزارة الثقافة والأعلام ـ دار ثقافة الأطفال
العراق ـ بغداد ـ ص.ب ٨٠٤١

٧
سلسلة المشاهير

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الأطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة : فاروق يوسف

جميل صدقي الزهاوي
سيرة وحياة

اعداد
كمال لطيف سالم

لوحة الغلاف للفنان : جاسم الفضل

المسح الضوئي: د.نزار حبيب عباس
الأعداد الفني: أحمد هاشم الزبيدي

تنويـــه : هذا الكتاب تم اعداده عن نسخة الاخ المبـدع الدكتور (نزار حبيب عباس) التي تفضل بنشرها مشكـوراً في صفحته في الفيسبوك مع كتابين آخرين (علي الشرقي) و (احمد الصافي النجفي) وقمت باعدادها ضمن مشروع جمع السلسلة وارشفتها الكترونياً في موقع عرب كومكس ومن الله التوفيق.

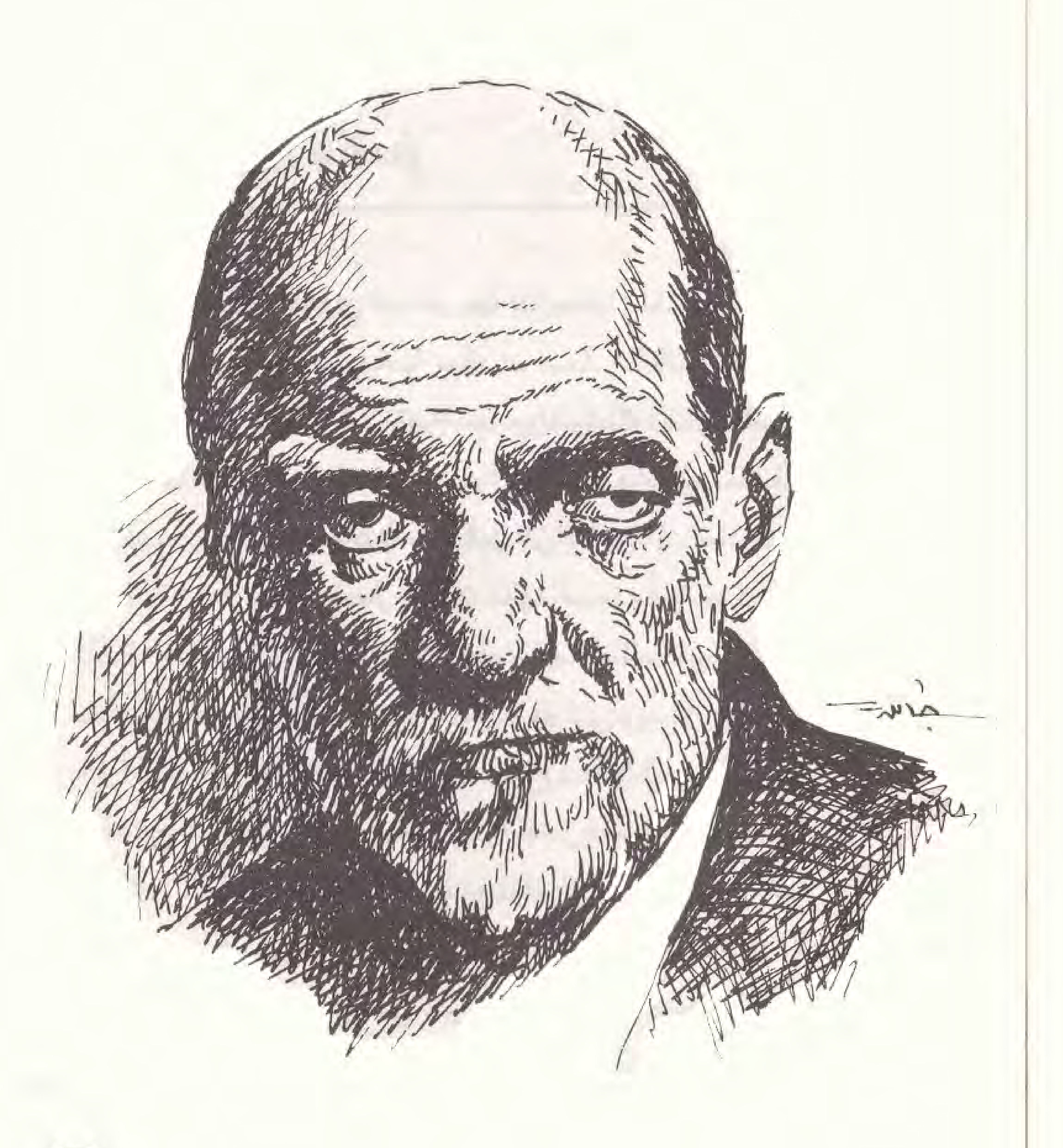
احمد هاشم الزبيدي
نيسان (أبريل) ٢٠٢٠م

حياته

ولد جميل صدقي الزهاوي في الثامن عشر من شهر حزيران سنة ١٨٦٣م ومنذ ولادته احبه والـده وخصه برعاية متميزة . فما أن بلغ الرابعة من عمره حتى أرسله والـده الى الكتاب حيث أخـذ في حفظ القرآن الكـريم*. وعندما أتم حفظه خصص له والـده بعض الطلاب من تلامذته لتدريسه بعض المعارف . ولكنه لم يستمر اذ آثر العـودة الى ابيه فـدرس عليـه . ديـوان المتنبي وشرح المواقف . بعدها عهد به الى الشيخ عبد الرحمن القـره داغي الذي أخذ يدرسه العلوم العقلية . وقـد توسعت مدارك الزهاوي فراح يناقش استاذه في اصل الانسان وغيرها مما يتعلق بالكواكب والنجوم . اما كيف بدأ ينظم الشعر الى جانب العلـوم الاخرى . فـأن والده ابتـدع طـريقة لجعلـه يحفظ وينظم الشعر فخصص جـائـزة مقـدارها درهم واحـد . لكل شطـر ينظمه من الشعـر

الموزون . وكان يعلمه ان يقبل النقد كي يتعلم . وهكذا تشجع الزهاوي في حفظ درر الشعر العربي مما جعلـه قادراً على نظم الشعر . وكانت اول قصيدة له كتبهـا في مدح بغداد .

لقد أحب الزهاوي الشعر كما احب العلم والفلسفة . فصــار يطارد اي مطبـوع يبحث في الكون والطبيعـة ، خـاصة مجلـة المقتطف القـاهـريـة . حتى انغمس في الابحـاث والعلوم الفلكيـة والفلسفية . فصــار ينشر في المجلات ابحاثاً ورسائـل فلقب بـ«الفيلسوف» ونتيجـة لشهرته عين مدرساً في مدرسة السليمانية ببغداد سنة ١٨٨٥ م ثم عين سنة ١٨٨٧م عضواً في مجلس معارف ولاية بغداد . ثم مديراً لمطبعة الولايـة ورئيساً لتحـرير القسم العربي من جريدة «الزوراء» ، ثم عين عضواً في محكمة استئناف بغداد .



الزهاوي والسفر

لقد احبّ الزهاوي السفر حد الشغف . خاصة عندما عين في مدرسة السليمانية ببغداد سنة ١٨٨٥ . وكانت الظروف في تلك الفترة لاتتفق مع ميوله وتطلعه فقرر السفر الى استانبول . لعله يجد في هذه العاصمة مايطيب خاطره ويشبع حبه للشعر والعلم . وقبل ان يصل الى استانبول سنة ١٨٩٦ قصد مصر ومكث فيها اسبوعاً واحداً قابل خلاله اعلام الادب والشعر في مصر أمثال الدكتور يعقوب صروف وفارس نمر وشبلي شميل وجرجي زيدان والشيخ ابراهيم اليازجي وكان ذلك الاسبوع حافلا في حياة جميل صدقي الزهاوي لانه سمع وقرأ مايزيد على مالديه من ثقافة . كما انه تطلع الى نهضة ذلك البلد وما وصل اليه من تطور في مجال العلم والادب . بعدها سافر الى استنبول وهناك تعرف على حياة جديدة كما قصد «الشيخ أبا الهدى الصيادي» للاستزادة من علمه كما راح يغرف

من كتب الفلسفة والكواكب والنجوم . وظل في استانبول سنة كاملة حتى عينه «السلطان عبد الحميد واعظاً في اليمن وقد سافر اليها مع لجنة اصلاحية سنة ١٨٩٧م وعندما وصل الى اليمن السعيدة وجد مايشرح صدره فراح يعمل بهمة عالية فنجح في مهمته التي استغرقت عاما كاملا . عاد بعدها الى استانبول ، وتقديرا لجهوده القيمة وما قام به من واجبات منح رتبة ونيشاناً من الدرجة الثالثة .

ولم يكد الزهاوي يستقر في استانبول حتى اخذ يترصد بؤس وتعاسة الناس . والظلم والجور الذي يرتكبه خدم السلطان فنهضت في نفسه قوة جعلته ينتقد سلوك هؤلاء بقصائد لاذعة نشرها في الجرائد المصرية وبأسماء مستعارة ، كما اتصل بتنظيمات الاتراك الاحرار السرية وانضم الى الخلية التي يرأسها الشاعر التركي «صفابك» وخلال وجوده مع هذه الخلية أنشد قصيدته المعروفة «حتام تغفل» وفيها يخاطب السلطان عبد الحميد وبسببها نفي الى بغداد . فعاد سنة ١٩٠٠ .

العودة الى استانبول

في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ وقع الانقلاب العثماني وارتفع شعار «حريت ، عدالت ، مساوات» في أرجاء الامبراطورية وفرح الناس في كل مكان . وقد اثر الحدث بالشاعر الزهاوي والرصافي فأخذا يخطبان في بغداد الخطب التي تؤيد الحركة الدستورية الجديدة . ومن قصائد الزهاوي التي يقول فيها :

ان العدالة ويك اليوم في الطلب
ياظلم فاستخفف او فالجأ الى الهرب
قد كانت العين قبل اليوم باكية
من الاسى وهي تبكي اليوم من طرب
البرق اهدى لنا بشرى بها هدأت
أرواحنا بعد طول الخوف والرهب

وعندما أفتتحت جمعية الاتحاد والترقي فرعاً في بغداد أنشد الزهاوي قائلاً :

حزب التعاون في الدنيا هو الناجي
نمشي على ضوئه في ليلنا الداجي
قد اعلنت للورى حرية فمضى
زمان سخرة ذي أمر وقرباج

وبعد ان فتحت ابواب الحرية قرر الزهاوي السفر الى استانبول وعندما وصل هناك بارك القائمين بالانقلاب الذين اطلقوا الحرية والسلام في نفوس الناس . ولم يمض على وجوده في استانبول الا ايام حتى صدر امر بتعيينه استاذاً للفلسفة الاسلامية في المكتب الملكي . واستاذاً للادب في دار الفنون . نشط الزهاوي في ميدان عمله نشاطاً ملحوظاً غير ان المرض الم به . فصار يفكر بالعودة الى اهله في بغداد وقد كتب قصيدة يقول فيها :

تذكرت ربعاً بالعراق بعيدا
واهلا واياما به وعهودا
وماء جرى بالواديين نميره
ومنخفضات حوله ونجودا

عاد الزهاوي الى بغداد سنة ١٩٠٩ فعين استاذاً «لمجلة الاحكام العدلية» في مدرسة الحقوق . وبعد عام من عمله عزله حسين ناظم باشا ، الذي لقبه الزهاوي «طاغية بغداد» وسبب عزل الزهاوي انه نشر مقالاً في جريدة «المؤيد الاسبوعي» القاهرية بعنوان المراة والدفاع عنها . وما أن اطلع المعنيون على هذا المقال حتى ثارت ثائرتهم بوجه الزهاوي فطلبوا من الوالي ايقاف الزهاوي عند حده . لان افكاره سامة وملحدة . وقد عزل الزهاوي ولازم بيته خوفاً من بطش السلطة .

مواقف الزهاوي الوطنية

عندما اقدم جمال باشا السفاح على اعدام افاضل العرب وهي جريمة هزت الامة العربية في تلك الفترة دفعت الزهاوي لكتابة قصيدته المشهورة «النائحة» التي يقول فيها :

على كل عود صاحب وخليل
وفي كل بيت رنة وعويل
قد اسود ليل الظلم حتى كأنه
ستار على الارض الفضاء سديل
الى ان اتى بالفتح جيش عرمرم
مدافعه تنأى العدى وتهول
هناك «اهل الشام» صاحوا وكبروا
وكبر اعلام لهم وسهول

الرحيل مرة اخرى

ان جملة الاحداث التي مرت على العراق وسلسلة التناقضات جعلت مشاعر الزهاوي تتضارب وتتناقض بين المدح والذم كل ذلك دفعه لمغادرة بغداد مجدداً وقبل السفر عام ١٩٢٤ اقام له نادي الاصلاح حفلة تكريمية وفيها القى قصيدة عنوانها «عند الفراق» يقول في مطلعها :

عانقتني ليلى لوشك الفراق
فتلاقت دموعنا في العناق
ليس لي بعد العراق مقر
غير مصر ، ومصر أخت العراق
قد رحلنا عن العراق جميعاً
انا والشعر والهوى باتفاق

غادر الزهاوي بغداد بطرق السيارات فوصل الى دمشق وهناك نظم قصيدة بعنوان «في العراق مقامي» جاء في مطلعها :

لما تنغص في العراق مقر   وليت مني الوجه شطر الشام

اقام له المجمع العلمي العربي حفلا تكريميا القى فيه قصيدة «ما أغنى».

ظننت بان الشعر يغني فما اغنى
وكم شاعر في موقفي اخطأ الظنا

بعد ان انعم بتكريم اهل دمشق له غادر متجها الى بيروت وهناك رحب به ادباؤها واقيمت له الحفلات الكبيرة . وفي بيت «بدر افندي دمشقية» القى قصيدة «بيروت في سفري» يقول مطلعها :

يممت بيروت بعد الشام في سفري
اجلو باوجه امجاد بها بصري

●وفي دار الجميل القى قصيدة «ماكنت ارتحل» يقول فيها :

لولا تفاقم شر ليس يحتمل
ماكنت عن وطني بغداد ارتحل

●وفي «نزل سنترال» القى قصيدة بعنوان «اصبح اجمل مابدا» يقول في مطلعها :

سينقشع الغيم الذي قد تلبدا
فيبيض ليلي بعد ان كان اسودا

●قبل ان يغادر جميل صدقي الزهاوي بيروت ، قدم رباعياته الى اهل بيروت لتطبع هدية لهم .

●غادر الزهاوي بيروت قاصدا القاهرة وفيها نزل في «بانسيون سافوي» ثم انتقل الى الدور الثاني من العمارة رقم ١٥ الواقعة في شارع المدابغ .

وعندما استقر في القاهرة كتب قصيدة «يامصر» مطلعها :

احييك يامصر الجميلة يامصر   بشعر يزكيه شعوري والفكر

لم يستمر مقام الزهاوي في مصر فعزم على شد الرحال عائداً الى بغداد . وفي وطنه رحب به الناس واقاموا له حفلا كبيرا حياه فيه الشاعر الكبير «معروف الرصافي» بقوله :

اری بغداد من بعد اغبرار   زهت بقدوم شاعرها الزهاوي
زهت بكبيرها ادبا وعلما   زهت بطبيب علتها المداوي
وما الاداب في بغداد لولا   يراع جميلها الادعاو
تفرد في جميل الشعر معنى   فجل عن المعادل والمساوي

●وانشد الزهاوي قصيدة جاء فيها :

وطني الذي فيه ولد   ت هو الذي فيه ابيد
عنه على شغفي به   انأى فتوجعني العهود
ان لم أذد أنا عن   حقوق للعراق فمن يذود؟

معارك الزهاوي الادبية

كان الزهاوي شديد الولع بالخصومات الادبية . وهو لايفتعلها . بل ان رؤيته للحياة والكون لاتتلاءم مع تصورات تلك المرحلة .

ومن هذه المعارك :

١ ـ معركته مع روفائيل بطي عندما نشر في جريدة «الناشئة الجديدة» لصاحبها ابراهيم صالح شكر يقول «ان للرصافي شعرا قصصيا سبق فيه صاغة القوافي من معاصريه فاستشاط غضبا ورد عليه .

٢ ـ وعندما توفي الشاعر اسماعيل صبري رثاه الشاعر احمد شوقي فراح الزهاوي ينتقده بقسوة على صفحات جريدة العراق وعندما علموا ان الزهاوي قد كتب ذلك اشتد الهجوم عليه خاصة الاستاذ محمد بهجة الاثري .

٣ ـ خصومته مع الرصافي التي كان سببها الاستاذ احمد حامد الصراف . الذي صادف ان كان في زيارة للرصافي

فوجد عنده نسخة من ديوان الزهاوي وفيها تعليقات ضد الزهاوي فطلب من الرصافي اعارته الديوان لحاجته اليه . وعندما أخذه سارع فيه الى الزهاوي ومن ذلك الوقت قامت بينهما خصومة لم تنته الا في بيت محمود صبحي الدفتري في يوم ١٩٢٨/١٢/٨ .

قالوا في الزهاوي

يقول الاستاذ احمد حسن الزيات «فقد كان ابوه ، محمد فيضي الزهاوي مفتياً لدار السلام . وأخوه فقيها من فقهائها . فنشأ جميل بين ابيه واخيه يرتاض عقله ليتثقف ويرتاش خياله ليطير ولكن اخاه كما حدثني الزهاوي كان حشر اللسان لايتذوق الادب فكان يذوده عن رواية الشعر ويصده عن دراسة اللغة ويأبى عناده هو وتسامح ابيه الا ان يديم النظر في الادب ويروض القريحة على القريض فكان هم أخيه ، وامل ابيه . ان يستقيم على عمود اسرته فكان صاحب قضاء وفقه ولكنه استقام على

محتوم طريقته فكان صاحب دعوة وفلسفة».

● يقول عنه الاستاذ عباس محمود العقاد «ونحسب ان بنية الرجل مسؤولة كما يقولون عن هذا الولع والسرعة والقلق فهو في وثباته المتلاحقة على مكان واحد يصعد فيه وينزل اليه ويثبت عليه صاعداً نازلا ، ومترددا ومستقراً ! هكذا كان في آخر ديوان . كما كان في اول ديوان»

●يقول عنه الاستاذ مير بصري «انه شاعر غمر البديهة صادق الحس مرهف العاطفة اسبغ على الاصداء التي رددها صفة الجدة والنقاء فجاءت اصواتا خالصة نابعة من صميم ذاته الظامئة الى التحرر والانعتاق» .

● يقول الشيخ محمد رضا الشبيبي «ومهما كان الزهاوي الشاعر من حيث ديباجته وجزالتها ومن حيث اساليبه البيانية وجمالها في صورتها . ومهما كانت الطبقة التي ينتمي اليها او يجب ان ينتمي اليها ، من طبقات الشعراء ، فالحقيقة هي ان شعره في انسجامه وطلاوته ترجمان شعوره ومرآة تتجلى فيها صور عواطفه وترسم عليها أشكال احاسيسه وانفعالاته من دون بهرجة او تزويق . كما ان اغراضه في شعره اغراض الشاعر

النبيل ، يأنف المساومة على عرائسه مهما ادى ذلك الى الضرر والحرمان . وحسبه هذه المزية في شعره لتجعل من بعضه على الاجمال شعرا جديرا بالرواية خليقاً بالبقاء» .

●يقول عنه الاستاذ امين الريحاني «على ان لجميل صدقي الزهاوي منزلة في الشعر العربي اليوم لايشاركه احد بها . فهو في علمه وفي ادبه وفي شعره اقرب الى ابي العلاء» .

ملامح شعره

●يقول الاستاذ الراحل عبد الرزاق الهلالي . ان اهم ملامح الزهاوي هي :

١ ـ انه اول شاعر معاصر هاجم العادات والتقاليد والجمود ودعا بشدة الى نبذ التعصب بكل جرأة .

٢ ـ انه في مقدمة الداعين للاصلاح الاجتماعي . والقضاء على الفوارق الطبقية في المجتمع .

٣ ـ انه من اوائل المناضلين من اجل الحرية ، المنددين بالجور والظلم والاستبداد .

٤ ـ انه في مقدمة مناصري حرية المرأة الذين دعوا الى سفورها ومساواتها بالرجل .

٥ ـ انه أول شاعر عربي معاصر اودع شعره كثيراً من آراء الحكماء ونظريات العلماء .

٦ ـ انه من الشعراء الذين جددوا في الشعر وابتعدوا عن المبالغة والخيالات التي لاصلة لها بالواقع .

٧ ـ انه استعمل في كثير من شعره لغة سهلة بسيطة الى الحد الذي لايبعدها عن حديث الناس .

٨ ـ انه اول شاعر عربي معاصر مارس «الشعر القصصي» .

٩ ـانه في مقدمة الشعراء العرب الذين دعوا الى القومية العربية واستنهضوا ابناء الامة العربية .

من اثار الشاعر جميل صدقي الزهاوي

اصدر الزهاوي في حياته خمسة دواوين هي :

- الكلم المنظوم
- ديوان الزهاوي

- اللباب
- الاوشال
- الثمالة
- النزعات او الشك واليقين

***

توفي الزهاوي في يوم ٢٣ شباط ١٩٣٦ حزنت بغداد عليه فاحتفل بتشييع جثمانه وسار خلفه الوزراء ورجالات الدولة والشعراء والادباء . وقد جرى دفنه في مقبرة الامام الاعظم . ووقف الشاعر الرصافي يرثيه بهذه الابيات :

ايها الفيلسوف قد عشت مضنى
مثل ميت وصرت بالموت حيا
ماحياة العظيم الاخلود
بعد موت يكون للجسم طيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر
ناطق بالبقاء لم يخش «عيا»
انت فرد في الفضل حيا وميتا
حزت في الحالتين ذكراً عليا
سوف ابكي عليك شجواً واني
بك قد كنت في الحياة شجيا

***

مختارات من شعر الزهاوي

ايها الناس . قصيدة يحث بها الزهاوي الناس على ترك اللهو .. فقد مر وقته . وآن الآوان لكيما يستيقظوا للدواهي التي احاقت بهم والتي ستحيق بهم اذا ماعالجوا امورهم وتيقظوا .. ولكن رغم نداء الشاعر ويأسه في تلك الحقبة الزمنية يقول لهم «ايها الناس انتم في رقاد» .. والشاعر لايستسلم لليأس بل برفع شعلة العلم لكي بذيب الظلام المتمثل بالجهل والقنوط . فهو يقارن بين البياض الذي هو شروق الحياة وبين الظلام اي السواد وهو ذبول الحياة وعدمها .

ويؤكد الزهاوي .. في قصيدته هذه على اهمية العلم وسموّه فبالعلم يمكن ان تبعد الشرور عن الانسان . ويتأسى الشاعر في قوله «انا ناديت لو يثير المنادي» .. ان الشاعر هنا يجعل العلم تاجاً ومناراً .. وعلى هذا التاج درة وسراج .. ثم يعلو به ليصبح كوكباً وقاداً ابديا .

ماقاله في الحث على التقدم
«أيها الناس»

ايها الناس مر وقت الملاهي   ايها الناس انما أنا ناهي
ايها الناس قد دهتكم دواهي   ايها الناس سارعوا لانتباه

ايها الناسَ انتم في رقاد

انما العلم للمالك صون   وعلى الجهل ليس يثبت كون
بين هذا وذاك لاشك بون   ان هذا لون وذلك لون

لايكون البياض مثل السواد

استنيروا بالعلم فالعلم نور   انما بالعلوم تنفى الشرور
ضجرت في هذا السكون القبور   انفضوا عنكم الخمول وثوروا

انا ناديت لو يثير المنادي

انما العلم اصل مانحتاج   فيه نفع لنا وفيه ابتهاج
فهو الرأس أو على الرأس تاج   او على التاج درة او سراج

مستنير كالكوكب الوقاد

ان شاعراً كالزهاوي تربى منذ طفولته على حب الكتب كيف لايشجع على انتشار المكتبات واعتبارها مظهراً حضاريا كبيراً . فالمكتبة عنده هي اشبه بالكواكب والجهل يطمس في غياهب الظلام . فالمكاتب اذا ماانتشرت في بلد ما .. يعني ذلك ان العلم ارتقى وان رجاله سوف ينهلون من شتى العلوم والفنون والآداب واذا ماخلت بلاد من المكاتب .. وهذا يعني انها ستتحول الى خرائب والخرائب هنا . هي الجهل . فالمكاتب في اهميتها تفوق اعداد الكتائب ويعني به الجيش فالكتاب هو خير صديق وخير صاحب .. وصفحاته وسطوره عند عشاق الكتب اشبه مايكونون بعشاق الكواعب .. اذن المكتبة أو المكاتب والكتب تمثلان وجهاً حضاريا كبيراً في حياة الانسان .

المكاتب

أنشدها في حفلة اقيمت في رويال سينما من قبل السيد فوربس لتأسيس مكتبة عامة .

تجلو المكاتب كالكواكب   ماللجهالة من غياهب
كل الهداية والسنى   عند الكواكب والمكاتب
تفشو الاشعة منهما   ملء المشارق والمغارب
ان المكاتب عند قو   م مرتق لمن المآرب
هن المناهل للرجا   ل على اختلاف في المشارب
وهل البلاد اذا خلت   منهن الا كالخرائب
ماكان توجيه الحضا   رة فهو من اسنى المواجب
ياقوم اعداد المكاتب   فوق اعداد الكتائب
هذه مغذية النفو   س وتلك مجلبة المعاطب

***

ان الكتاب هو المعلم   والمسلي والمصاحب
اوراقه في عين عشا   ق الهدى بيض كواعب

لقد شغف الزهاوي بعلوم الكواكب والاجرام السماوية وفي قصيدة المجرة . يرسم لنا لوحة الكون وكيف ان المجرة تجري مثل نهر مستمر الجريان .. وفيها تسبح الكواكب الاخرى . ثم يدرك بحسه العلمي ان هذه الكواكب تسيرها خلايا من كهرباء هي اشبه بالدم الذي يمد الانسان بالحياة ، هذا التأمل للشاعر الفيلسوف الزهاوي .. هو صورة متخيلة لشاعر مسكون بالشعر وبالعلم معاً .

لاترتقي بغداد الا ان تكاثرت المكاتب
العلم نور بين ايدي المرء في كل المطالب
والجهل اشبه بالظلام يحفه من كل جانب
العلم للحسنات يمطر مثل هاطلة السحائب
العلم يعفي المرء في الاعمال من ثقل المتاعب
بالعلم طار المرء حتى مر من بين السحائب
بالعلم قد تم اتصال للمشارق بالمغارب

***

قصائد فلسفية

المجرة

تلك المجرة مثل النهر جارية فيها الكواكب والقنوان والسدم
كأنها حيوان والنجوم بها هي الخلايا له والكهرباء دم
تهيجني رؤية الشعرى فان لها اذا بدت لمعاناً ضوؤه عمم
كأنها غادة حسناء قد هجرت من صاحب ومقتة فهي تلتدم

● يمعن الزهاوي النظر في السماء .. ثم يترك نفسه هكذا سارحاً مع التيه العميق .. يتمحص ويتحرى لعله يجد في هذا العمق اللامتناهي شيئاً يدله على سر هذا الكون العظيم وهو عندما يعود الى ملكوت الارض يتذكر انه ساكنها وان عليه ان يقارن بين اعماق السماء ونجومها وهي سابحة بغير عمد او استناد . ويمثل نفسه فيلسوفاً يستطيع ان يقرأ فصولاً من كتاب هذا الزمان وقد يستطيع التوصل اولا ولكن البحث عن الحقيقة والعلم هو الطريق الى معرفة دقائق الكون .

وما النجوم تراها العين لامعة   في الليل الاشموس هاجها الحدم
لايعلم الناس مهما أمعنوا نظراً   هل الحدوث بها احرى ام القدم

يتحرى

نظر الى السماء عميق   يتحرى نهاية الابعاد
اعلى الروح في الثريا امير   مثلما في الثرى على الاجساد
انما نحن ساكنون بارض   هي ادنى مراتب الايجاد
ان في اعماق السماء نجوماً   سابحات فيها بغير استناد
يقرأ الفيلسوف فيها فصولا   من كتاب الدهور والاباد

الشمس

انما الشمس مركز لنظام   سابح في بحر بعيد القرار
وهي في عالم المجرة فاعلم   قدر صاغر من الاقدار
نحن في ارضنا نعيش جميعاً   فوق جرم محقر سيار

في هذه القصيدة «كأنك لاتعلم» يسأل الزهاوي ثم يجيب وعبر هذا الحوار الشعري الملغز .. ينقلنا الى حيرة

السؤال نفسه ولكننا نبقى معجبين بعقلية مرنة رائعة في وقت كان الجهل يسود فيه .. فهو يسأل لماذا تحركت النجوم وما هوكنه الاثير ..وهل الدفع اقدر في ذاته ام هما قوتان تخالفتا .. في القصيدة اسئلة واحاجي .. ويحاول الشاعر ان يجعل الاجابة عنها من الامور المعقدة .. ولكننا عندما نعود الى عصرنا الحاضر نجد ان لكل هذه الاسئلة اجوبة جاهزة ولاتحتاج الى تعقيد .. ولكن علينا ان نتذكر الفترة التي عاش فيها شاعرنا الزهاوي حينما كان الجهل هو السائد .

طاف يسعى على ذكاء كما طا   فت بليل فراشة حول نار

«كانك لاتعلم»

لماذا تحركت الانجم   كأنك مثلي لاتعلم
وماهو كنه الاثير الذي   فسيح الفضاء به مفعم
وبين الجواهر جذب فما   دواعيه اني مستعلم
هل الدفع أقدر في ذاته   من الجذب ام هل هما توأم
هما قوتان تخالفتا   فذلك يبني وذا يهدم

لماذا اجبني نحس بما   نلاقي فنلتذ أو نألم
وقد نتوهم من نفسنا   لذاك بواعث او نزعم
فنذكر اشياء لكن   بما نحن نذكر لانجزم
ونقدح بالفكر البابنا   زناداً ولاينجلي المبهم
ويأبى لسان الطبيعة ان   يبوح بما نحن نستعلم

الشاعر جميل صدقي الزهاوي مسكون بحب وطنه .. مسكون بحب دجلة هذا النهر الخالد الذي كتب عنه الشعراء .. وسفكوا الدماء من اجله .. فالزهاوي ينادي دجلة ان لايخرج من حوزة العراق طالما نحن احياء على هذه الارض .. نحن نفديك بكل مانملك .. اما اذا غلبنا الموت .. فيا دجلة كابر اما ان تجف او ان تمضي الى حتفك .. ولكن لاعليك يادجلة .. فلقد نهضنا ، ونحن حفاظ لها . وبعضنا مرصوص لبعض .

●ومن شعره في حب الوطن

«الا اذا متنا»

دجلة لاتخرج من حوزنا   ونحن احياء على الارض
الا اذا متنا وعم الروى   فدجلة حينئذ تمضي

لقد نهضنا اليوم حفظاً لها   من الاعادي ايما نهض
كتائب تزحف في طولها   والبعض مرصوص الى بعض

على الرفات

مافاز بالظفر امرؤ   في الحرب الابالثبات
أطر الشجاعة في الرجا   ل فتلك من خير الصفات
ان المصير اذا استكا   نت امة لالى الشتات
تبنى صروح الغالبين   على الجماجم والرفات

●قصائد في الوصف

«الربيع والطيور»

ان سجع الحمام في السماء   وهبوب النسيم بعد القطار
وبريق الندى على الازهار   وخرير الماء الزلال الجاري

موحيات الي بالاشعار

فـاذا مادعـا الحمام هـديلا … سحـراً والنسيم هب بليـلا
وأراني الندى محيا صقيـلا … وجرى الماء حيث الفى مسيلا

جاش شدو بالشعر في افكاري

فتـرنمت كـالطيـور صبـاحـا … بـغنـاء يمـازج الارواحـا
ذاك سر الهوى به القلب بـاحا … في نشيد يولي النفوس ارتياحا

قد تعلمته من الاطيار

حبذا الروض في زمان الربيـع … ان حسن الازهـار فيه طبيعي
مـرّفيـه النسيم غـير سريـع … فوق سطح مثـل السماء بـديع

فيه تزهو النجوم بالانوار

ماأروع الزهاوي حين يصف جـلال طلوع الشمس وكيف انها تطلع من وراء التلاع . والشمس عند الشاعر

تزيل الكآبة والوجع النفسي . فالشمس هي الرياض وهي رونق التراب الطيب . يتغنى في كل سطر وفي كل لـوحة جميلة تعكس حب الشاعر للموج والنجوم والاقمار وهو منظر طالما يتمنى الشاعر استمراره .

«الشمس في الطلوع»

طلعت في جلالة ووقار
من وراء التلاع شمس النهار
طلعت من حجابها كآله الحسن
في موكب من الانوار
وتجلت مثل العروس بوجه
نوره باهر اولي الابصار
فكست منكب الربى وحواليها
رداء مطرزاً بالنضار
وادرت على الرياض شعاعاً
لج في لثم مبسم الازهار
كلما مس ظاهر الارض أعطى
رونقاً للتراب والاحجار

ماتدانى الا أذا ع نشاطا

لحياة الحيوان والاشجار

وله في جداول الروض رقص

فوق سطح الماء الزلال الجاري

وأضاء الهواء فهو كبحر

ماج في لج نوره المور

ان للشمس منظراً ليس يلفى

مثله في النجوم والاقمار

منظراً راق حسنه غير اني

كل يوم أراه بالتكرار .

يقف الشاعر جميل صدقي الزهاوي امام بناية المدرسة المستنصرية بعد ان تحولت الى أثر ويستعيد بقصيدته .. امجاد هذه المدرسة يوم كان يدرس فيها طلاب من كل انحاء الارض . ففي هذه المدرسة كان العلم يسقي الاجيال والشباب . وكان الظامئون للعلم يقطعون مئات الاميال والاهوال لكي يصلوا الى هذه المدرسة العريقة بعلمها . هذه المدرسة التي يقف امامها الزهاوي وهي طلل .. يستعيده الشاعر كما يستعيد الشعراء ذكريات امجادهم عند بقايا ذكراهم .

«في المستنصرية»

هـهنا كان الشعب يلفي دليلا

كلما رام للمعالي وصولا

هـهنا كان العلم يجلو السجايا

وينير الحجى ويهدي السبيلا

هـهنا في ظلال هذي المباني

لبس الشرق غرة وحجولا

هـهنا كانت الحضارة تبنى

للحكومات في البلاد أصولا

من هنا كان العلم يبسط فوق الارض

من ظله جناحا طويلا

من هنا كانت العروبة تجني

شرفاً باذخاً ومجداً اثيلا

من هنا كان العلم يسقي شباباً

ظمئوا للعلى ويسقي كهولا

من هنا كان الشرق يهدي الى الغر

ب ضياء به ينير العقولا

وفنونا في روضها العين ترعى

نرجساً او بنفسجاً مطلولا

ماقاله الزهاوي في النساء

النساء

ان النساء ربيع ... لنا ونعم الربيع
وانهن رياحين ... زاهرات تضوع
وانهن اذا ظلمت ... ليال شموع
وانهن ابتساما ... ت تارة ودموع
تشناقهن قلوب ... لنا حوتها الضلوع
ترف روحي عليهن ... والغرام نزوع
والقلب مني كأس ... للبين فيها صدوع
لي بعد نأي اليهن ... اوبة ورجوع
ان الرجال جذوع ... ان النساء فروع
حديثهن لطيف ... وحسنهن بديع
ياحبذا نظرات ... من الحسان تروع

تحية وترحيب

● القاها تكريما للاستاذ الريحاني

حييت من زائر قد جاء مندفعا
يسير منخفضا طوراً ومرتفعا
مؤملا ان يرى بالعين ماسمعا
لقد تحرد من اوراقه الشجر
في الغيط فاليوم لاظل ولاثمر
حييت من كاتب اثرى به الادب
عليك في الشرق تبني فخرها العرب
قد جئت بغداد اذ بغداد تضطرب
نزلت بالروض والازهار ذاوية
هناك والروض لاغض ولا نضر
حييت من شاعر للحق مكتنه
لشعره الشرق القى سمع منتبه
بكيت والشعر حتى فاض دمعكما
فيالها عبرات كلها عبر
الشعر انت وانت الشعر فيه هدى
بل شعرك الزهر في روض الربيع بدا
فطله عند عيدان الصباح ندى

عودة الرصافي

● أنشدها بعد عودة الرصافي من الاستانة

أرى قلقاً يمحو الدجى ثم لاادري
أمطلع فجر ذاك ام مطلع الشعر
ام اليوم قد هبت ترحب دجلة
ببلبلها الغريد بالشاعر الحر
ومنها :
كأن شعاع النجم والنجم طالع
يضيء جميلا بعض اخلاقه الغر
قد أخضل روض الشعر حتى حمدته
وحتى رأيت الزهر يبسم للزهر
ترنم يشدو فوق ايكه
ويهتف صبحاً بين اغصانه الخضر
واني بمعروف لأعتزأنه
أخو ثقة والحر يعتز بالحر
كلانا يريد الحق فيما يقوله
واني واياه الى غاية نجري
فخذ بيدي اللهم في كل دعوة
وهذا اخي معروف اشدد به ازري

الى مصر

● قالها في طريقه الى مصر ونشرها في المقطم

لقد سرت من بغداد يدفعني الوجد
الى حيث وكر الشعر طائره سعد
الى مصر اما مصر فهي كأنها
كعاب ووادي النيل في جيدها عقد
الى حيث يلقى الحر للحق ذادة
كراما فلا ضيم هناك ولا حقد
الى بلد للعلم في ارضه هدى
وللشعر مثل النجم في جوه وقد
يثبطني حب لبغداد لاريب
ويدفعني شوق الى مصر مشتد
مشيت الى مصر اسارع قبلما
طريقي الى مصر الجميلة ينسد
سألقي عصا الترحال في مصر انها
بلادلها من نيلها يكثر الرفد
واشدو بشعري هابطا ظل دوحها
فتبسط ذاك الظل افنانها الملد
ويشملني ابناؤها برعاية
ارى انني قد لاأرى مثلها بعد

وللريح القاها بوجهي عذوبة
وللماء احسوه على كبدي برد

***

●مقاطع من قصائد متفرقة

فاطمة رشدي

ماشاهدت عيني ممثلة   كفاطمة الشهيره
ابدت جلال الفن حتى   في مواقعه الخطيره
للفن ثم الفن ثم الفن   فاطمة القديره
خلقت ممثلة فلا   شطط هناك ولانكيره
هذي فتاة النيل   للاعجاب في شعب مثيره
جاءت تلاعب دجلة   ابان سورتها الاخيره

***

اذكري

اذكري اذ كنا صغيرين نلعب
وعلى انغام الطبيعة نطرب
او نغني معا اناشيد قد طا
بت بلحن مشج وصوت مكهرب
او على ناعم الثرى نتنزى
والثرى للصبيان اقرب ملعب

تارة نعدو مبعدين واخرى
فوق ميثاء رمله نتقلب
وعلى نشز فوق دجلة نستلقي
ابتغاء لراحة حين نتعب
ثم نمض الى الحدائق نجني
مانلاقي من كل زهر محبب
الازاهير تحتنا تتلوى
والعصافير فوقنا تتوثب
واذا ماطار الفراش ركضنا
خلفه في لباقة نتعقب

***

عصفورة الوادي

لقد رقد السمار حتى خلا النادي
ولم تبق يقظى غير عصفورة الوادي
شدت في هدوء الليل تدعو اليفها
وفي شدوها شجو لسامعه باد
تردده في خير لحن سمعته
وتنشده شعراً على خير انشاد
فيا حسن شعر محزن مطرب معاً
وياحسن لحن ثم ياحسن ترداد

فبت وعيني لحظها يخرق الدجى
وسمعي على بعد الى الطائر الشادي
قد انتبهت في ليلها فتذكرت
اليفاً غدا عنها ولم يعد الغادي

***

الشعر

الشعر ديوان العرب — والشعر عنوان الادب
هو الذي قامت به — في الشرق نهضة العرب
وهو الذي كان يخف — ذائداً عن الحسب
ويكشف الحق ان — الحق عن العين احتجب
الشعر زهر عطر — انبته ارض العرب
والزهر في اشواكه — كالعين حولها الهدب
ماانقلبوا انقلابهم — من قبل ان يرقى الادب
وهو الذي اذكى الشعو — ر بالظهور والغلب
وهو الى الوحي يمت — من قديم بالنسب
لقد روى وما افترى — ولاغلا ولا كذب
طوبي لمن مارسه — ومن رواه او كتب

«كمنجة سامي الشوا»

هزنا الفن في كمنجة «سامي»
وهو فيه اميرها الجحجاج
حبذا الموسيقى وحسبك فيها
لغة في غموضها افصاح

لغة ليس يفهم العقل — مايسمع منها وتفهم الارواح
وتر جامد ورق بلا حس — فمن اين جاء هذا النواح
وكأن الاوتار تحت يديه — السن تشرح الغرام فصاح
كلما جستها الانامل منه — شملت أرواحاً لنا الافراح
واذا مااراد فالامر جد — واذا مااراد فهو مزاح
اغنموا فرصة السماع اليه — فهي في كل مرة لاتتاح
ان في لحنه جمالا اليه — كل نفس حساسة ترتاح
نغمات فاضت على الجو حتى — ملأته كما يفيض الصباح

***

في مسرح رمسيس

● يرحب فيها بالاستاذ يوسف وهبي

في الفن معنى حسنه لايعرف
حتى يمثل مايمثل يوسف

جاء العراق يزوره فبه احتفت
ابناؤه وسبيلهم ان يحتفوا
حيته عاصمة الرشيد فشيبها
وشبابها للعبقرية تهتف
هبت تصفق عند رؤيتها له
حتى اذا قلت انتهت تستأنف
طربت على تمثيله وترنحت
فكأنما قد اسكرتها قرقف
يبكي العيون بما يقول ممثلاً
ويعود في رفق لهن يجفف
يجد الذي يرنو الى تمثيله
ان الحياة تعاد ثم تكيف
وهناك تشترك النفوس بحسها
وهناك اشتات القلوب تألف
الفن حر لايلين لقاهر
والفن لايعنو ولا يتزلف
انا اكبر الفنان يمشي مطلقاً
من كل قيد لاكمن هو يوسف
ما اجمل النجم الذي في ليلتي
يرنو الى من السماء ويشرف

رابندرات طاغور

● القاها في الحفلة الكبرى التي اقيمت له

كنت طاغور ماثلا في خيالي — حيثما التفت اجدك حيالي
عن يميني اذا نظرت يميني — وشمالي اذا نظرت شمالي
مثل نجم يهدي ابتساما جميلا — في دجى الليل من كل مكان عال
وانا باسط اليك يدي في — ضرع اليائس الكثير الملال
قلت لي ان اردت ان نتناحى — فادن مني وفي الدنو تعال
ايها الشاعر العظيم سلام — من محب لأي شعرك تال
وسلام عليك في كل يوم — وسلام عليك في كل حال
معدن باتت للقصائد غرأ — مثلما البحر معدن للآلي
انما هذا الشعر حين تغنيه — على قربه بعيد المنال
انني لااخشى عليه زوالا — انه للخلود لاللزوال
انت من رمنا للنوابغ غدا — ٠احد من اولئك الابطال

***

إندفاعات

ياموطنا قد ذبت فيه غراما
اهدي اليك تحية وسلاما

لولاك لم أك في الوجود ولم اشم
بلج الصباح واسمع الانغاما
افديك من وطن نشأته بأرضه
ومرحت فيه يافعاً وغلاما
ماكنت الاروضة مطلولة
تحوي الورود وتفتق الاكماما
غازلت منها في الغدو بنفسجا
وشممت منها في الاصيل خزاما
وسعدت العب فوق ارضك ناشئا
وشقيت شيخاً لايطيق قياما

***

العندليب

انصتوا أنصتوا فقد طاف ... بالورد صباحاً يغرد العندليب
واذا العندليب غرد فالاسماع ... تنصاع والنفوس تطيب
انما العندليب والصوت منه ... حين يشدو للاصالي حبيب
ملك الطير كلها في الاغاني ... فله التاج وحده والقضيب
هو ان صاح فالجوانح تهفو ... واذا نادى فالقلوب تجيب
وكأن الاشجار جمع غفير ... تسمع العندليب وهو خطيب
وكأن الازهار عند تغنيه ... قلوب لها اليه وثوب
شاعر الروض العبقري فما ان ... شعره تقليد ولامكذوب
شدوه يطرب النفوس جميعاً ... ولكل الاسماع منه نصيب
هو شعر يهز مستمعيه ... وهو سحر يحار فيه اللبيب
وهو نار في لوعة القلب يبقى ... صاعداً في الفضاء منها اللهيب

***

المصــادر

● ـ ديوان صدقي الزهاوي ـ دار العودة بيروت
● الشاعر الفيلسوف بقلم عبد الرزاق الهلالي
● تأريخ العراق بين احتلالين عباس العزاوي بغداد
● ادب الزيات في العراق . جمال الدين الالوسي بـيروت ١٩٧١ .
● الادب العصري في العراق العربي الاستاذ روفائيل بطي .
● ترجمة حياة الزهاوي بخط يده، الزهاوي . دراسات ونصوص الاستاذ عبد الحميد الرشودي .

●●●

الفهرست

****

رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٥٨) لسنة ١٩٨٩

دار الحرية للطباعة ـ بغداد